

الفصل الاول

الخبر بين القديم والحديث

نقل الخبر بالسفن - السابق بالخييل من أجل الخبر - اختراع
التلغراف - ظهور وكالات الأنباء - التنافس في استقاء الأنباء •

الخبر بين القديم والحديث

تطور الخبر بين القديم والحديث تطوراً كبيراً ملحوظاً ، وتناول هذا التطور ماهية الخبر وفنونه وطرق جمعه وأساليب تحريره ونشره . وفى العصور القديمة كان ناقل الخبر هو الراوى أو الرسول أو المنادى أو المنشد أو الشاعر إذ لم يظهر فى ذلك الحين المخبر المتخصص ، وكانت وسائل نقل الاخبار بذلك بطيئة بدائية وظلت هكذا الوسائل الصوتية تحتل مركز الصدارة فى جمع الاخبار الى أن ظهرت المطبعة التى ظهر باختراعها الخبر المطبوع .

لم تكن رحلة الخبر من مصادره الى مستقبله سهله يسيره ، بل كانت هذه الرحلة الشاقة تتم على ظهور الخيل ، أو بواسطة السفن ، أو الحمام الزاجل ، وكانت هذه الرحلة البطيئة الطويلة العسيرة تستقبلها الجماهير بحماس وشوق ولطالما كان التعطش للابناء يتمثل فى تلهف الجماهير على استقبال السفن ، التى تحمل مع شحنات البضائع شحنات الابناء .

وعلى هذه الصورة المبتكرة والبدائية فى نفس الوقت تداول القدماء الابناء ، ولطالما كانت الزوارق تتنافس لتقابل السفن القادمة الى الشواطىء كى تحقق ألوانا من السبق الصحفى ، بإذاعة الأنباء قبل أن ترسو السفن ويحصل عليها المهتمون بجمع الأنباء . وتعددت مناورات ملاهى الزوارق من أجل السبق الاخبارى ، من ذلك استخدامهم السفن الشراعية بدلا من سفن المجداف ، أو استقبال الزوارق بالخيل السريعة التى تعدو حاملة حصيلتها من الأنباء الى موزعيها .

وهكذا ظلت طرق جمع الاخبار وتداولها فى العصور القديمة بطيئة وبدائية ، وظل المنشد للقصص أو الشاعر الذى يطوف بالقصور أو المنادى الذى يعلن الأحكام والقرارات أو الملاح الذى يقود السفن، هو القائم بالمهمة الاخبارية ، التى يقوم بها المخبر المتخصص اليوم ، أى حامل الخبر وناقله .

وطويت صفحة قديمة فى رحلة الخبر وبدأت صفحة جديدة متطورة حين اخترع ف.ب. موريس التلغراف ، إذ أرسل صمويل موريس فى ٢٥ مايو سنة ١٨٤٤ أول رسالة تلغرافية ، وقد ساعد هذا الاختراع على تطور

تبادل الخبر وظهور نظام جديد لتداوله ، ولقد كان هذا الاختراع حدثاً هاماً فى رحلة الخبر ، اذ تحول السباق بالخيول أو الزورق للوصول الى السفن الى سباق بالسيارات والقاطرات للوصول الى محطات التلغراف ، أى مراكز الخدمات الاخبارية ، وحين امتدت الاسلاك عبر السهول والجبال فى منتصف القرن التاسع عشر ، طويت صفحة قديمة فى رحلة الخبر ، وبدأت صفحة جديدة متطورة .

على أن هذه الخدمات التلغرافية فى صورها الاولى لم تكن على قدر من الفاعلية والكفاءة ، فهذه الوصلات الخيرية كانت شديدة الاضطراب ، وحين كانت العواصف تعصف أو الرياح تهب ، كانت الاسلاك المرتبطة بالاعمدة أو الجذوع تهتز وتتقطع ، فتتعطل هذه الخدمات التلغرافية ، الى أن يقوم عمال الصيانة باصلاح ما فسد من هذه الشبكات . ورغم ان هذه الخدمات البرقية كانت تنقل الخبر لحظة حدوثه ، أى على الفور ، الا أنه لم يكن من الممكن مد الاسلاك عبر الانهار ، وكان من الضرورى اذن تدبير أمر نقل هذه الرسائل الاخبارية المستقبلية عبر الانهار ، اما عن طريق الزوارق ، أو القوارب . ومن الشاطئ كان الخبر يستأنف رحلته الشاقة الى مستقبلى الأنباء ، وقد لاتغطى الشبكات التلغرافية بعض المواقع ، فكان على البواخر أن تتحرك الى ارض الاحداث كى تلقى بمراسيها حيث توجد هذه الساريات التلغرافية ، سواء كانت المشكلة استقبال نبأ أو استفاءه من مصادره .

على أن هذه الرحلات الخيرية على اختلاف وسائلها كانت باهظة التكاليف ، وهذا ما دفع العاملين فى ميدان جمع الأنباء الى التفكير فى تنظيم هذه الخدمات الاخبارية بأسلوب تعاونى ، أى بتقاسم نفقات الحصول على الاخبار ، ولعل هذه الخدمات التعاونية كانت هى الفكرة الاساسية فى نشوء وكالات الأنباء ، اذ ظهرت هذه المؤسسات الاخبارية الى الوجود لتنظيم تبادل الأنباء ، أى تقديم خدمات اخبارية تلغرافية مشتركة ، وبأسلوب تعاونى تتقاسم خلاله النفقات .

ومن الطبيعى أن يعانى جامع الأنباء أو المخبر فى القديم من هذه الأمور التى ذكرناها ، اذ طالما كانت الوصلات التلغرافية تتقطع فتتعطل خدماتها فى أخرج الأوقات ، كما أن ندرة الخطوط وقلتها كانت تمكن منافسيه من التحكم فى سير هذه الخدمات الاخبارية ، بشغل الوصلات التلغرافية لمنع استخدامها من جانب سواه .

وبدورة الأيام بين القديم والحديث ، تقدمت هذه الخدمات التلغرافية وارتفع مستواها ، واتخذ تحسين هذه الخدمات صورا شتى ، فاخترى عامل التلغراف اليدوى ، وانتشرت الآلات الكاتبة السريعة ، وظهرت اللغة الاختزالية التلغرافية ، وحل التلغراف الكاتب السريع محل عمال التلغراف القدامى ، كما ظهرت وسائل فائقة الطاقات والسرعة فى ميدان جمع الأنباء البرقية والصور الاخبارية .

وهكذا كان لظهور الخبر المطبوع وتطوره اثر فى ظهور الحاجة الملحة الى وسيلة فعالة لجمع الأنباء وتوزيعها ، حيث تطلع قراء الصحف الى خدمات اخبارية فعالة واسعة المدى ، أى تغطى رقعة واسعة ، وتقدم الانباء بصورة متكاملة ، وكان أكثر ما تميزت به هذه الخدمات هو استيفائها لعنصر الزمن ، أى السرعة فى نقل الانباء تداولها .

لقد ظهرت وكالات الأنباء فى الثلث الثانى من القرن التاسع عشر لتلبية هذه الحاجة الملحة فى نقل الأخبار وتداولها بسرعة وكفاية على نطاق واسع ، وكان ظهور هذه الوكالات نقطة تحول فى رحلة الخبر ، اذ عملت هذه الوكالات على تيسير تداول الأنباء عبر القارات ، وقد تمكنت بواسطة شبكة مراسليها ومكاتبها المنتشرة حول العالم ، من تحقيق خدمات اخبارية ضخمة ذات مستوى .

على أن هذه الوكالات ذاتها قد تطورت فى خدماتها وامكانياتها ، فانتهى عهد القرصنة الاخبارية التى كانت تتم بين الوكالات المتنافسة . والتزمت كل وكالة بأصول المهنة وتقاليدها ، وقد عملت كل منها على تحسين خدماتها وتوسيع نطاق أخبارها أى السير بصناعة جمع الاخبار وتداولها الى الأمام . وحين تعددت وكالات الأنباء سعت كل وكالة أن تنال ثقة عملائها بتوسيع مدار خدماتها ، كما عملت كل منها الى تدعيم شبكاتها الاخبارية بمكاتب فرعية منتشرة حول العالم ومرتبطة بمكاتبها المركزية ، بوصلات برقية . واجتهدت كل وكالة بعد ذلك فى استقدام أحدث العدد والآلات سعيا وراء رفع مستوى الأداء وتحقيق السبق الاخبارى . وبمرور الزمن زاد نفوذ هذه الوكالات العالمية ، وشكلت قوى ضاغطة فى الميدان السياسى والاقتصادى ، الأمر الذى دفع الدول النامية الى الاتجاه الى انشاء وكالات أنباء وطنية ادراكا منها للدور الخطير الذى تقوم به هذه الوكالات العالمية ، وشعورا منها بالحاجة الماسة الى حماية صناعة الخبر من أخطا التزيف والاختلاق .

على أن رحلة الخبر لا تنتهى بانتهاه جمعه وارساله الى الصحف ، بل نراه يبدأ بعد ذلك رحلة أخرى ، حين تعمل الصحف على استقصاء صحة الخبر ، أو حين يسارع مخبروها الى أرض الأحداث لاستكمال جوانبه . وإذا كانت الرحلة التي مر ذكرها تنتهى بتسليم الأنباء الى الصحف ، فإن هذه الرحلة الأخيرة جارية ، أى تحوى عنصر الدوام والاستمرار . فالخبر القصير قد يتحول على طول المدى ، أى بالتحرى الى خبر طويل هام ، كما أن استكمال جوانب الخبر يقتضى أن يكون العمل جاريا على قدم وساق لاضافة كل جديد الى الخبر القديم المتداول . واذن فالجري وراء الأنباء حلقة دائرية لا نهاية لها ، ولكل سعى جزاء ، أى كلما بحثنا وراء الخبر ، وجدنا فيه الجديد الجدير بالرواية .